سِلْسِلَةُ : وُصُولِ التَّهَانِي بِتَفْرِيغِ أشْرِطَةِ الشِّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (6)

كَلِمَةٌ بعنوان

سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ

لفضيلة الشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

- حفظه الله تعالى -

المُدرِّس في الجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

تفريغ لكلمة ألقاها عبر الهاتف

(ليلة السبت 16 ربيع الآخر 1439 هـ)

(نسخة مخرجة الأحاديث)

بسم الله الرحمن الرحيم

. . . [1] ورحمة الله للعالمين ، وحجته على الخلق أجمعين ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين ، أما بعد .

فإننا نحمد الله سبحانه وتعالى – معشر الأحبة – على ما منَّ به من هذا اللقاء ، في هذه الليلة ؛ ليلة الاربعاء ، الموافق للسادس عشر ، ليلة السادس عشر من شهر ربيع الآخر ، عام تسعة وثلاثين وأربعمئة وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، نلتقي هذا اللقاء والذي قد عُنونَ له بـ " **سنوات خدّاعات** " .

ونسأل الله – جل وعلا – السلامة والمعافاة ، كما نسأله – سبحانه وتعالى – العصمة من الزلل ، وأن يحفظنا من سيء العمل ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه .

أيها الإخوة في الله :

إنَّ هذا العنوان الذي اختير عنوان مناسب ، التذكير به ، والتحدث فيه ، في هذه الإعصار المتأخرة ، وفي هذه الأيام بالذات ؛ فإنه مناسبٌ جداً ، وقد وقع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ؛ فإن هذا العنوان مأخوذ من حديث صحيح عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، رواه عددٌ من الصحابة – رضي الله عنهم– .

وأحسنها وأمثلها حديث أبي هريرة –رضي الله عنه – عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في المسند وفي السنن ، أنه –عليه الصلاة والسلام– قال : " تأتي على الناس سنواتٌ خدّاعات ، يُصدّق فيها الكاذب ، ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخوَّن فيها الأمين ، وينطق الرويبضة ، قيل : يا رسول الله وما الرويبضة ، قال عليه الصلاة والسلام : " الرجل التافه يتكلم في أمر العامة " .

[1] ما قبل هذا غير موجود في التسجيل .

وهذا عند الإمام أحمد –رحمه الله تعالى – [1] ، وهو حديث ثابتٌ بمتابعاته ، بشواهده ، وقد تكلم عليه مُحدِّث هذا العصر الشيخ ناصر الدين الألباني –رحمه الله تعالى– في سلسلته [2] ، ومن أراد أن يستكثر وينظر في الشواهد وفي الألفاظ فليرجع إلى هذا الكتاب ، فإن الشيخ – رحمه الله – قد جمع فيه جمعاً طيباً مباركاً .

والشاهد من هذا قوله – عليه الصلاة والسلام – : " **تأتي على الناس سنواتٌ خدّاعات ، يُصدّق فيها الكاذب ،ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخوَّن فيها الأمين . .** " هذان أمران .

والثالث : " . . **وينطق الرويبضة،** فقيل للنبي – صلى الله عليه وسلم– : وما الرويبضة ؟ قال : " **الرجل التافه** " –يعني الحقير ، أو الذي لا يُؤبه له – " **يتكلم في أمر العامة** " .

يعني في الأمر الذي لا علاقة له به ، ليس له أن يتحدث فيها ، وإنما يتحدث فيه فرسان هذا الشأن ؛ الذين يقودون الناس إما بالسياسة والرياسة ، وإما بالعلم ، والتوجيه ، والتأديب ، والإرشاد ، أمّا هذا الذي لا يؤبه له ، وليس له دخل في هذا فهذا هو الرويبضة الذي يتكلم في أمر العامة ، وكأنه سائس الناس .

فهذا الذي أخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم – قد وقع من سنين ، ولا يزال يتكرر في كل زمان ، بصورة أو بأخرى ، كل زمان يحدث فيه ، وكل مكان يحدث فيه بحسْب حاله ، فهذا مما أخبر به – عليه الصلاة والسلام– بأنه سيقع في ما بعد ، ووقع كما أخبر – عليه الصلاة والسلام – .

وهكذا جاء اللفظ من حديث أنس – رضي الله تعالى عنه – ، بنفس الكلام : " **تأتي على الناس سنواتٌ خدّاعات ، يُصدّق فيها الكاذب ،ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخوَّن فيها الأمين ، وينطق الرويبضة . .** " فسُئِل ، فقال كما سمعتم قبل قليل : " **الرجل التافه يتكلم في أمر العامة** " ، فهذه السنون الخدّاعة هي بين يدي الساعة ، وهي من

---

[1] برقم (7912) .

[2] السلسلة الصحيحة (4/508) برقم (1887) .

علاماتها ، كما جاء أيضاً في بعض طرق حديث أنس بن مالك : " **إن بيد يدي الساعة سنين خداعة ، يُصدّق فيها الكاذب ،ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُخوَّن فيها الأمين ، ويُؤتمن فيها الخائن ، وينطق الرويبضة . .** " إلى آخره .

وقد جاء بلفظ : "**قبل الساعة**" ، ما هو : " **بيد يدي الساعة** " ، " **قبل الساعة** " ، وقبل الساعة هو بين يدي الساعة ، لا فرق بين هذا وهذا ، فالمعنى واحد .

وجاء : "**إنّ أمام الدجال سنين خدّاعة، يُصدّق فيها الكاذب ،ويُكذَّب فيها الصادق ، ويُؤتمن فيها الخائن ، ويُخوَّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة . .**" [1] .

فقوله : " **بيد يدي الدجال** " أو " **أمام الدجال** " كذلك هو من علاما ت الساعة ؛ فإنَّ الدجال من علامات الساعة الكبرى ، فيكون أمامه هذه السنون الخدّاعة ، التي يحصل فيها هذا الذي ذكره النبي – صلى الله عليه وسلم– : تكذيب الصادقين ، وتصديق الكاذبين ، وائتمان الخانين ، وتخوين الأمينين ، – نسأل الله العافية والسلامة – .

فهذا إخبارٌ من النبي – صلى الله علي وسلم– ، والمراد منه التحذير من أن نقع في مثل ذلك ، – نسأل الله العافية والسلامة – .

فإن هذا الحديث – حفظكم الله – دليلٌ على اختلال الموازين ، في آخر الزمان – عياذاً بالله من ذلك – ، فإنّ هذا الحديث يُخبر– كما سمعتموه – بفساد الأخلاق ، فساد أخلاق الناس ، وإلا لو لم تفسد الأخلاق لم يُكذَّب الصادق ، ولم يُخوَّن الأمين ، ولم يُؤتمن الخائن ، ولم يُصدَّق الكاذب ، ولكن لمّا اختلت الموازين وانعكست حصل هذا ، وما ذلك إلا بسبب فساد أخلاق الناس ، فإذا فسدت أخلاق الناس فسدت موازينهم ،

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت . . . . . فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فكيف يُكذَّب الصادق ، ويُخوَّن الأمين ؟ كيف ؟

---

[1] رواه الإمام أحمد في المسند برقم (13298) .

وكيف يُؤتمن الخائن ويُصدَّق الكاذب ؟ ، هذه مصيبة ، هذا هو المنطق المعكوس -كما قلنا- : تصديق الكاذب ، وتكذيب الصادق ، هذا يعني أن أحكام الذين اختلت أخلاقهم تكون في آخر الزمان تدور مع الأهواء ، لا مع القواعد العلمية الشرعية ، ولا مع النصوص القرآنية ، ولا مع الأحاديث النبوية ، وإنما تدور الأحكام مع الأهواء - عياذاً بالله من ذلك- ، تدور الأحكام مع أهواء الناس ، فمن أحبوه صدّقوه لو كان كاذبا ، ومن أبغضوه كذّبوه ولو كان صادقاً ، ومن أحبوه ائتمنوه ، وأظهروه للناس أميناً ولو كان خائنا ، ومن كرهوه وأبغضوه خوّنوه ، وأظهروه للناس خائناً ولو كان أمينا ، هذا والله هو المنطق المعكوس ، وما انعكست إلا بسبب فساد الأخلاق ، وهذه الأخلاق استحكم عليها الهوى ، - فنسأل الله العافية و السلامة - .

فهذه السنين أو هذه السنوات الخدّاعات هذا وصف لهذه السنين المراد به أهلها ، كقوله تعالى : ﴿ **وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾ [يوسف:82] ، فإن سؤال القرية المراد به أهل القرية ، وهذا معلوم ،و هذا أسلوب في لغة العرب .

ولا يقال إن هذا فيه كما يقول بعض الذين يحرّفون الكلم عن مواضعه يقال فيه إنه فيه مجازٌ ، ويستدلون به على فساد آيات الصفات ، هذا أسلوب من أساليب العرب معلوم ، إنك إذا قلت : (اسأل القرية) الناس يعلمون أنه المراد به السؤال لأهل القرية .

فالوصف لهذه السنين هو لأهلها - نسأل الله العافية و السلامة - ، فالناس تارةً يوصفون ويضافون إلى الزمان ، وتارةً يضافون إلى المكان ، فالزمان محل لأفعالهم ، كما هو هنا في الحديث سنوات خدّاعة ، والمكان محل لأفعالهم وأعمالهم وأقوالهم ، فهذا الحديث فيه دليل على أن الناس تنتكس فطرهم - والعياذ بالله - في آخر الزمان ، فيكون الحكم منهم إنما يدور مع أهوائهم ، فإذا هووا الشيء السيء جعلوه حسناً ، وإذا أبغضوا الحسن جعلوه رديئاً - عياذاً بالله من ذلك- ، فهذا كالتفسير - والله أعلم - لما تقدم في أول الحديث .

فلذلك ينبغي لنا -معشر الأحبة - أن نعرف أمر الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم- ، فنقفوهما ولا نتعداهما ، ولا

نتبع الناس ، وإنما نوطن أنفسنا على معرفة الحق ، ومعرفة الصدق ، ومعرفة الحق ، ومعرفة أهله ، ومعرفة الصدق ، ومعرفة أهله ، ونكون معهم ، كما أمر الله –جل وعلا – : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : 119] ، فهذا من فساد أحوال الناس في آخر الزمان ، فتتدخل أهوائهم في قضايا الأمة ، ويتدخل هؤلاء أصحاب الأهواء والجهّال والقاصرون والتافهون يتدخلون في أحوال الناس فيقلبون الموازين ، لأن الأقوال هذه لا تصدر من عقلاء ، ولا من علماء ، وإنما تصدر من سفهاء ، وتصدر من جهّال ، فإذا صدرت من السفهاء و الجهّال حصلت هذه النتيجة – عياذاً بالله من ذلك– وهكذا إذا صدرت عن هوى أيضاً حصلت هذه النتيجة ولو كان الرجل عاقلاً ، إذا صدر هذا عن هوى – نسأل الله العافية والسلامة – ، فإنه سيقع في مخالفة النص ، ولو كان أظهر ما يكون ، فهذه سنين أهلها وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف ، –فنعوذ بالله من ذلك – .

فهذه صور تدل على فساد أحوال الناس في هذه الأزمان المتأخرة ، وهذه الأمور مدركةٌ ومشاهدة – معشر الأحبة– وحاصلة ، وحصلت قبلنا بأزمان متطاولة من بعده – عليه الصلاة والسلام– ومن بعد القرون المفضلة ، وهكذا ها هي تتكرر مرة بعد أخرى ، فحصلت في الماضي ، وحصلت فيما نحن فيه في هذه الأيام وستحصل بعدنا ، فهذه الأحاديث التي ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها هذا الكلام وهذه الأوصاف هذه تدل – نسأل الله العافية – على فساد الناس :

إن الزمان وما يفنى له عَجَبُ . . . . . . أبقى لنا ذَنَباً واستُأصل الرأسُ

إن الجديدين في طول اختلافهما . . . . . . لا يفسدان ولكن يفسد الناسُ

ففساد الناس ، هذا هو الفساد الصحيح ، الذي تشرح بها هذه الأحاديث ، وإلا فالزمن إنما هو ظرفٌ لحصول هذه الأمور فيها بتقدير الله – جل وعلا – وبإرادته – سبحانه وتعالى – ، فهذه الأمور المدركة التي نحسها تماماً إنما بسبب ما ذكرته لكم ، بسبب الجهل ، وبسبب الهوى ، – عياذاً بالله – ، فيحصل الفساد ، وتضطرب الأمور ، وتختل الموازين ،

فالكذّاب يصبح عند الناس صادقاً ، والصادق يصبح عند الناس كاذبا ، والخائن الذي لا يُؤتمن على نواة يصبح عند الناس أمينا ، والأمين الذي لو أُمِّنَ على يين مال بيت المسلمين لكان أمينا ، ما نقص منه مثقال ذرة ، يُصبح عند الناس خائنا ، –نعوذ بالله من ذلك– ، نسأل الله العافية والسلامة .

وإذا كان كذلك حصلت الطامة الثالثة ، ألا وهي ظهور الرويبضات ، والرويبضات كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم– : " **الرجل التافه يتكلم في أمر العامة** " يعني الذي لا يتكلم فيه إلا ذوو الرياسات ، وذوو القيادات ، وتوجيه الناس ؛ من أهل القيادة السياسية ، والقيادة العلمية الشرعية هم الذين يسوسون الناس ، ويُوجّهِون الناس ، أما الذي لا علاقة له بذلك فهذا لا دخل له في هذا ، ولكن يحصل هذا .

وقد حصل في هذه الأيام بكثرة ، ولا سيما مع وجود هذه الوسائل ؛ وسائل التواصل التي يسمونها ، وهي في الحقيقة شر ، كَثُر شرها – عياذاَ بالله من ذلك – ، فأصبح الرويبضات يتكلمون من خلف الستار– عياذاً بالله من ذلك – ، ويُلبِّسون على الناس ، ويُظهِرون الحق في صورة الباطل ، والباطل في صورة الحق ، والصدق في صورة الكذب ، والكذب في صورة الصدق ، والخائن في صورة الأمين ، والأمين في صورة الخائن ، والكذَّاب في صورة الصادق ، والصادق في صورة الكاذب ، ويُخرجون الجاهل في صورة العالِم ، ويُقبِّحون العالِم حتى يجعلونه في صورة الجاهل ، وهكذا .

والناس لا يعرفون هؤلاء ، لا يعرفون إلا كتاباتهم ، كما قلت أكثر من مرة ، يظنونهم علماء في هذه المواقع وهم في الحقيقة جهال ، – نسأل الله العافية والسلامة – ، أوتوا جهلاً مركباً ، لا يدري ، ولا يدري أنه لا يدري ، هذه هي المصيبة ، وابتُلي الناس بهم ، ويظنون أن خلف هذه المواقع الطَّنّانة ، والأسماء الرنّانة ورائها علماء ، أو ورائها مشايخ علم ، وهم والله ليسوا كذلك ، بل هم كَذَبة ، بل بعض الناس يظهر كذبه ومع هذا تجد الناس يُهرعون إليه ، ولا يعتبرون ، فهذا والله هو البلاء ، يَظهر كذبه كالشمس واضحةً جلية ، ليس دونها سحاب ، وكالمطر ليس دونه سحاب ؛ يراه الناس جميعاً ، ومع ذلك يُهرعون إليه ، يَظهر الكذب على الكاذب ظهوراً بيناً لا خفاء فيه ، ولا لَبس ، ومع ذلك تجد من يؤيده وينصره ،

أو يدافع عنه ، ويشكره ، وهذه مصيبة عظيمة ، – نسأل الله العافية والسلامة – ، ولكن صدق ربنا – جل وعلا – ﴿ **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾ [الحج :46]

فهؤلاء – نسأل الله العافية – إذا عميت قلوبهم فلا حيلة فيهم ، فأنت حينما تخاطبهم كأنك لا تخاطبهم ، كما قيل :

لقد أسمعت لو ناديت حياً . . . . . . ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت . . . . ولكن أنت تنفخ في رمادِ

كما قال –جل وعلا– : ﴿ **وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ** ﴾ [فاطر : 14] ، صاروا كأصحاب القبور ، – عياذاً بالله من ذلك – ﴿ **وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ** ﴾ [فاطر : 14] ، وهؤلاء هكذا ، كثير من هؤلاء ، لو سمعوا ولو أخبرتهم ما استجاب لك ، ولَمَا قبل منك ، هذه مصيبة عظيمة ، – نسأل الله العافية والسلامة – ، وهذا إن دل على شيء يدل على فساد هؤلاء في هذا الزمان ، فساد عامة الناس في هذا الزمان ، وإلا فأهل العلم وأهل الدين وأهل الفقه وأهل التقى لا يصدر منهم هذا ، هؤلاء يُحكِّمون الشريعة ، ويُحكِّمون النصوص ، على أنفسهم .

وربما حصل ذلك من بعض من تستغرب منه هذا ، وتستنكر منه هذا ، وتُجِلُّه عن هذا ، وما هذا إلا بسبب صحبة الصاحب ، فإنه قديماً قيل : (الصاحب ساحب)

ولا تصحب الحمقى فذو الجهل إن يَرُم . . . . . صلاحاً لأمر يا أخا الحزم يُفْسِدِ

يفسد وهو يريد الإصلاح ، بسبب ماذا ؟ بسبب مصاحبته للحمقى ، – نسأل الله العافية والسلامة – فمن صاحب الحمقى جرُّوه إلى البلاء ، – نسأل الله العافية – .

فإذا عجز الإنسان عن مصاحبة أهل الخير وأحاط بأهل الباطل ، وأغلق عليه أهل الباطل ؛ فإنه حينئذ يفعل فعل الحمقى ، – نسأل الله العافية – ، فالحمق هو ارتكاب الخطأ من الأحمق ، هو ارتكاب الخطأ على بصيرة يظنه صوابا ، وذلك لضعف عقله ، وقلة علمه .

وقيل أن : (الحمق : هو وضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه) ، - نسأل الله العافية - .

وقيل أن : (الحمق : استقباح ما يستحسنه العقلاء) ، فلذلك صاحب الجهل ، الجاهل اذا أراد أن يُصلح وصحب هؤلاء فإنه يُفسد منح حيث يظن أنه يُصلح ، - نسأل الله العافية - .

ولهذا جاء عن علي - رحمه الله تعالى ورضي عنه - كما هو مشهور عنه حينما قال : (لا تؤاخي الفاجر فإنه يزين لك فعله ، ولا الأحمق فإنه يُجهِد نفسه لك ولا ينفعك ، وربما أراد أن ينفعك فضرك ، فسكوته خير من نطقه ، وبُعده خير من قربه ، وموته خير من حياته ، ولا تصحب الكذَّب ، فإنه لا ينفعك منه عِشرة ، ينقل حديثك ، وينقل الحديث إليك ، وإن تحدّث بالصدق لا يُصدّق) ، - نعوذ بالله من ذلك - ، هذا هو الكذّاب ، وهذا هو الأحمق ، ومن اصطنع معروفاً إلى أحمق فإنه ستكون عاقبته الندم ، وهكذا مَن صاحب الأحمق فإن عاقبته ستكون إلى ندم ، ومن صارم الأحمق فإنه يُوفَّق ويسلم ، ولهذا جاء في الحِكَم :(صارم الحمق فليس له خير من الهجران)

ويروى عن الثوري - رحمه الله- في هذا كلام مشهور في الحمقى قال : (هجران الأحمق قربة إلى الله تعالى) .

هذا مروى عن سفيان الثوري يقول - وهو مشهور عنه- : (هجران الأحمق قربة إلى الله) .

ومعروفٌ في قصيدة صالح بن عبد القدوس البيت المشهور:

ولئن يعادي عاقلا خيرٌ له . . . . من أن يكون له صديق أحمقُ

ولئن تعادي عاقلاً خيرٌ لك . . . . . . من أن يكون صديق أحمق

اتق الأحمق لا تصحبه . . . . إنما الأحمق كالثوب الخَرِق

فهو أن رقّعته من جانب . . . عاد منهون سريعاً فانخرق

فالعاقل يبتعد عن صحبة هؤلاء الحمق ؛ فإنهم يُلبِّسون عليه ، ويَجرُّونه إلى البلاء ، وهو يُحسِن الظن بهم ، فربما انخدع ، والواجب عليه إن جاءه الناصح أن يتعظ ، فمثل هذا الأحمق البليد والله يسوؤك بقربه منك ، ويسوؤك بحمقه ، مَن

أنت ؟ ربما أثّر فيك في ألسنة العامة .

فالواجب عليك أن تكون مع أهل الإيمان ، وأن تكون مع أهل الصدق ، كما قال –جل وعلا– : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال:62] .

وكما قال –جل وعلا– : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة:119] ، وكما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : " عليكم بالصدق ؛ فإن الصدق يهدي إلى البر " [1] .

فهؤلاء الحمقى قد يجرون العاقل إذا أحسن الظن بهم وهو لا يعلم فيوقعونه في البلاء – عياذاً بالله من ذلك– ، ومن يثق بهؤلاء يوقعونه في الحماقات التي تُضحِك عليه العقلاء ، ويستنكرها منه عامة الناس ؛ لأنه لا يرى وهم يرون ، فيوقعونه ولو كان عاقلاً ، وهذا بسبب المؤاخاة ، وقديماً قيل :

ولا تصحب أخا الجهل وإياك وإياهُ

فكم من جاهل أردى حليماً حين أخاهُ

يقاس المرءُ بالمرءِ إذا ما هو ماشاهُ

وللشيءِ على الشيءِ مقاييسٌ وأشباهُ

فالواجب على صاحب العلم ، والواجب على طالب العلم ، والواجب على العاقل ، والواجب على صاحب الدين والتقى .

والواجب علينا جميعاً : أن نصون أنفسنا حق صيانتها ، فنحفظها عما يُنقِّصُها ، ونحفظها عما يُعيّرِها به الناس ، فإن للعلماء وإن للحكماء وإن للعقلاء في صفوف الناس مكانة ، فينبغي لهم أن يحفظوا هذه المكانة ، ولا يُمكِّنوا من أنفسهم هؤلاء ، وذلك لأن العلم الصحيح والعقل الصريح عصمة – بإذن الله تبارك وتعالى – .

---

[1] رواه البخاري في " صحيحه " برقم (6094) ، ومسلم في " صحيحه " برقم (2607) .

فإذا كان ذلك فالواجب على كل عاقل أن يحترم نفسه ، وأن يحفظها من مصاحبة هؤلاء الحمقى ، الذين يضرونه وهو لا يحس بضررهم ، والناس سيرون ضررهم ، والناس يرون أثرهم القبيح ، - فنسأل الله العافية والسلامة - .

فالكذب قد يقع فيه الإنسان بسبب صديقه ، أو بسبب صاحبه الذي يَقلب له الأمور ، وإن كان هو ليس بالكذّاب في نفسه ، لكنه تُقلَب عليه الأمور فيقع في الكذب وهو لا يعلم ، بسبب إحسانه الظن بهؤلاء الكذابين .

فالواجب على صاحب الدين : أن يسلك مسلك الورع ، وأن يتبع الصدق ، أن يحذر وأن يكون مع أهله ، وأن يحذر الكذب ، وأن يفارق أهله ؛ لأن الشرع لا يُجوِّز له ذلك ، كما أن العقل لا يُحسِّن له ذلك، فالشرع أيضاً لا يُجوِّز له ذلك ، فالمروءة كما أنها مانعةٌ من الكذب هي باعثةٌ على الصدق ، وإذا كانت مانعة من الكذب ، وباعثة على الصدق في نفس الإنسان فالواجب عليه أيضاً أن يحفظ نفسه من أن يصاحب الكاذبين ويصدِّق الكاذبين ، أو يصاحب الخائنين ، ويركن إلى الخائنين ، كما قال الله - سبحانه وتعالى - لرسوله صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** ﴾ [النساء : 107]

فالوجب على العبد أن يُعوِّد لسانه قول الصدق ، ويصحب أهله ، ويحذر الكذب ويحذر أهله ،

عَوِّد لسانك قول الصدقِ تحظَ به . . . إنَّ اللسان لما عَوَّدت معتادُ

موكلٌ بتقاضي ما سننت له . . . فاحتل لنفسك وانظر كيف ترتادُ

فالكذب خصلةٌ خبيثة ، وهو من أفجر الخصال ، فإذا صُدق أهله ضاعت الأمور واختلطت الموازين ، - نسأل الله العافية والسلامة- .

فمن استحلى رضاع الكذب عَسُرَ فطامه ، يصعب عليك أن تُتوِّبه من كذبه ، فالواجب أن تبتعد عنه ، وأن تنأى عنه ، وأن تهرب بنفسك عنه ، وألا يكون جليساً لك ، وألا يكون صحيباً لك ، وأل يكون عشيراً لك ؛ حتى لا تقع في مثل هذه المناهي التي نهى عنها النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فتكون مع الكذابين فتصدِّقهم ، ومع الخائنين فتأمنهم ، وكم نقل

الكذّابون من الأخبار الكاذبة ، وهم خَوَنَة كَذَبَة ، فانخدع بهم من انخدع ، فائتمنهم على الحديث فصدّقهم فوقع في البلاء – عياذاً بالله من ذلك – ، وانما يكشف عن هؤلاء الكذّابين ويفحص عن أحوالهم ، ويبين أحوالهم مَن أنار الله بصائرهم ، ووفقهم سبحانه وتعالى ، رزقهم العلم النافع ، ووفّقهم سبحانه وتعالى لتطبيق هذا العلم على قواعده ، وطردها في كل زمان ومكان ، وعلى الناس جميعاً .

أما نحن اليوم فنرى الصادق أصبح كاذباً والكاذب أصبح صادقاً ، وللأسف بل وبعض الناس يسعى في نصرة الكاذب ومحاربة الصادق ، أيُ اختلال بعد هذا – معشر الأحبة – ؟ أي اختلال ؟

الصدق توأمه الوفاء ، والكذب توأمه الخيانة – عياذاً بالله من ذلك – ، فلذلك تجد الصادق دائماً وفياً ، ويتحلى بصفة الوفاء ، والكاذب دائماً خائناً ، ويتحلى بهذه الخصلة الخبيثة القبيحة .

والصبر دائماً مع الحِلم ، فهما توأمان ، وفيهن تمام كل دين ، وصلاح كل دنيا ، فمع الصدق يحصل الوفاء ، ومع الصبر يحصل الحِلم ، هذا وهذا متلازمان ، وهذا وهذا متلازمان ، وأضداد ذلك هي أسباب الفُرقة ، ضد الصدق الكذب ، وضد الصبر الطيش والخفة والعجلة ، وعدم الأناة ، فهذه – نسأل الله العافية – أصل كل بلاء ، فما كَذَبَ أحدٌ قط إلا لأنه لم يعرف قدر نفسه ، فلم يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عنده ، وإلا لعلم قدر نفسه لما وقع في الكذب ، فإنَّ مَنْ استحلى رضاع الكذب – كما قلنا – يعسر حينئذٍ فطامه – عياذاً بالله من ذلك – .

وهكذا مَن استحلى الخيانة فإنه – والعياذ بالله – قَلَّ أن تجده أمينا ، والله –سبحانه وتعالى– قد قال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** ﴾ [النساء : 107]

قال –جل وعلا– : ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** ﴾ [يوسف:52] ، – عياذاً بالله من ذلك – ، فكيدهم مهما كادوا مكشوف بإذن الله –تبارك وتعالى– .

فعلى العاقل أن يتأمل في هذا معشر الأحبة وأن يطبق النصوص ولا يتعجل ، ويصبر ، فإن عاقبة قصيرة وحبل الكذب

قصير ، وهكذا الخيانة عاقبتها إلى انكشاف ، لأن الله ﴿ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ [يوسف:52] .

والله –جل وعلا – ﴿ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء : 107] .

فإذا كان كذلك وصبر وصابر واحتسب الأجر عند الله واستمر في كونه مع الصادقين ،وتأييده للصادقين ، ونصرته للصادقين فيوشك أن يكشف الله –سبحانه– وتعالى كذب الكاذبين ، وخيانة الخائنين ، لأن الله – جل وعلا – يقول : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ [يوسف:52] .

فيا –معشر الأحبة – : علينا جميعا أن نتصف بالصدق في أنفسنا وعلينا جميعا أن نلتزم بالصدق مع من نعاشره ، في أمور ديننا ودنيانا ، فإن من يكذب فقد هانت عليه نفسه ،

لي حيلة فيمن ينم . . . وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقول . . . فحيلتي فيه قليلة

فمن هانت عليه نفسه هو الذي يقع في الكذب ،وكما قلت لكم –قبل قليل – أعود وأُنبّه : بعض الناس يقع في الكذب وليس هو بالكذَّاب ، ولكن لروايته عن الكذابين، (إنكم لتحدِّثون غير كاذبين ، ولكن اتَّهم من حدثكم) ، فالبلاء يكون حينئذ في الناقل ، والبلاء يكون حينئذٍ في الجالب للأخبار .

فإذا صاحبت هؤلاء فإنك تردى بسببهم ، وتتردى بسببهم ، –عياذاً بالله– ، كما قال النبي– صلى الله عليه وسلم –[1] : " مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذِيك " ، أي يعطيك هدية ، " وإما أن تبتاع منه " : تشتري منه ، " وإما أن تجد منه ريحا طيباً " : فإما أن يعطيك هدية ابتداء هو ، فيعطيك من المسك الذي عنده ، وإما أن تشتري من المسك الذي يبيعه ، وإما أن تجد الرائحة طيبة ، فإما أن يُهديك ، يحسن إليك صاحب الأخلاق الطيبة بتسديك ، والمشورة ، والإرشاد إلى ما هو نافع لك في دينك ودنياك ، هذه هي الحَذوة

[1] رواه البخاري في " صحيحه " برقم (5534) ، ومسلم في " صحيحه " برقم (2628) .

التي يعطيك إياه ، هذه هي الحَذِية التي يعطيك إياها ، والهبة التي يعطيك إياها ، وإما أن تبتاع منه : يعني تسأله أنت ، أو تستشيره أنت ، فيفتح الله- سبحانه وتعالى- عليه بالخير فيشيرك ، ويرشدك ، ويدلك إذا سألته ، وإما أن تجد الريحة الطيبة ، يعني إذا كان لا هذا ولا هذا فمجرد مجالستك له تأتيك الرائحة الطيبة ، فالمجالسة المراد بها هنا المصاحبة ، فإذا صاحبت صاحب الأخلاق الحسنة قيل فلان صاحب فلان ، فهذه السمعة الطيبة هي الريحة الطيبة ، يقال صاحب فلان ، جليس فلان ، فيُنسب إليه ، فيثق الناس به ، ويحبونه ، لأن فلاناً صالح ، ولا يجالسه إلا الصالحون ، ويتفحّص جلسائه ، فحينئذٍ ينتفع الناس ، وينتفع الجالسون إليه بالصحة وبالجلوس إليه ؟ .

والعكس بالعكس تماماً ، نافخ الكير : إما أن يُحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة ، والتعبير بالثياب المراد بها : الدين هنا ، فحق الثوب حق الدين ، صاحب الرائحة الخبيثة يعرف صاحب الأخلاق الخبيثة ،يحرق دينك فإذا صاحبت الفاسق فإنه يدعوك، ويُحسِن لك فسقه وفجوره حتى تقع فيه ، وإما أن يُحرِقك بالرائحة الخبيثة ، فيُقال هذا فلان صاحب فلان الفاجر ، صاحب فلان الفاسق، صاحب فلان الكذّاب، صاحب فلان الماجن ، وهكذا ، فيلحقك من الضرر في السمعة ما يلحقك بسبب الصحبة له ، فهذه الصحبة لها بمثابة الريحة الخبيثة ، السمعة الخبيثة هي بمثابة الريحة الخبيثة- فنسأل الله العافية والسلامة - .

فمن صاحب الاشرار واستنام إليهم جروه إلى البلاء ، وقديماً قيل :

من استنام إلى الاشرار بات وفي . . . . . . قميصه منهمُ صِلٌّ وثعبان

- عياذاً بالله من ذلك - ، فيا - معشر الاحبة - الواجب علينا أن نتفكر ، وأن نتدبر ، وأن نتأمل ، وأن نعمل القواعد الشرعية ، والأدلة الشرعية كتاباً وسنة ، في قياس الناس ، فإنها هي المقياس الذي لا يختل ، وهي الميزات الذي لا يطيش ، وأنتم إذا نظرتم هذه الأيام ترون طيشاً في الموازين ، وترون تطفيفاً في الكيل ، طيشاً في الموازين عجيب ، وترون تطفيفاً في الكيل عجيباً غريباً ، - نسأل الله العافية والسلامة - .

وكما قيل : (واقع الحال يغني عن كثير من المقال)

فيا – معشر الاحبة – أوصيكم ونفسي الالتزام بكتاب الله ، وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وأن نكون مع الصدق وأهله ، مع الأَبانة وأهلها ، وأن نحذر الخَوَنة ، وأن نحذر الكَذَبة ، وأن نحذر الرويبضة ، وأن نحذر هؤلاء التافهين الذين يتصدرون وليسوا بشيء ، ويخدعون الناس ، ويورطونهم ، ويوقعونهم ، – نسأل الله العافية والسلامة – .

مَنْ كان كذلك يجب أن يُحذر ، فالعلم هذه ثمرته ، وهذه فائدته – معشر الأحبة – : هي تطبيقه ، والعمل به ، فإذا جاءت الفتن تظهر قيمة العلم ؛ وذلك بتطبيقه ، على الأحداث وتطبيقه على الأقوال والأعمال ، فحينئذٍ من طبَّق العلم وعمل به فإنه باذن الله – تبارك وتعالى – لا تعصف به العواصف ، ولا تهزه الهزات ، مهما تعاظمت هذه الهزات .

نسأل الله –جل وعلا – أن يثبتنا وإياكم جميعاً بقوله الثابت في الحياة الدنيا والاخرة ، وأن يرزقنا وإياكم جميعاً الفقه في الدين ، والبصيرة فيه .

كما أسأله – سبحانه وتعالى– أن يعيذنا وإياكم ممن مضلات الفتن ، وأن يربط على قلوبنا وقلوبكم جميعاً بالتمسك بالسنن ، وأن يصرف عنا وعنكم وعن سائر إخواننا المسلمين في كل مكان كل سوء وبلية ، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، حكاماً ومحكومين ، إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ .

الأسئلة [1] :

السؤال الأول : ما موقف طالب العلم السلفي من تعارض الجرح و التعديل في شخص أو جماعة ما ؟

الشيخ : الحمد لله ، هذا الأمر –و لله الحمد – قد بينه أئمة أهل العلم ، بينه علماء الحديث بياناً شافياً ، و الكلام هنا ليس في مسألة البيان ، و لكن الكلام في مسألة التطبيق ؛ إذا تعارض الجرح و التعديل فالجرح مقدمٌ ، فإذا قام موجب

[1] الأسئلة بصوت الأخ المقدم لهذا الاتصال .

يوجب الشك و الريبة طُلب التفسير ؛ فإذا فسر الجرح فإنه حينئذٍ مقدم على التعديل ، ولو كان المعدل من كان .

وقد سمعتم وقرأتم مقالات وكلمات جميلة طيبة جداً مدققة و محققة لشيخنا ووالدنا الشيخ ربيع – حفظه الله تعالى– فإنه قد بين هذا في فتن سابقة ماضية ، فأهل الفتن يستجلبون التزكيات و يستجلبون الشهادات و الثناء عليهم من بعض أهل العلم الذين لا يعرفونهم وهم معذورون ، أو يخدعونهم و يغشونهم ، و العالم مهما بلغ من العلم هو عالم بشر ؛ إنما يقضي على نحوٍ مما يظهر .

و الشيخ قد بين هذا – حفظه الله – يقول الرجل يصحبني سنة و سنتين أشهد له على ما ظهر منه .

فإذا جاء الجارح بزيادة في جرحه فإذا جاء الجارح وجرح فإن معه زيادة علم ، و إذا فسّره وجب قبول تفسيره إذا كان ممن يؤخذ عنه ومن المتأهلين فيجب قبول قوله .

و لكن اليوم نجد العجب كما قلت لكم الشأن في التطبيق يوم أن كان الشيخ ربيع – وفقه الله – يواجه الحداديين والمأربين و الحلبيين ، هؤلاء كانوا يحاربونه – وفقه الله – في هذا الباب ، ويحاولون بكل ما يستطيعون استخراج التزكيات والطعن في الشيخ و التصوير كأنما المسألة بينه وبينهم شخصية ، و الحق أنه على خلاف ذلك .

فمثل هؤلاء في ذلك الحين كان يقول فيهم الشيخ – وفقه الله – : لو جاؤوا بتزكية فلان وفلان ما قبلنا ما دام الجرح فيهم مفسراً ، فهكذا اليوم بعض الناس أعمالهم و أقوالهم لا تزكيهم لا تزكيهم ، تأبى أن تزكيهم أعمالهم و أقوالهم و أفعالهم ومواقفهم ، استبان للناس كذبهم ، واستبان للناس تلبيسهم ، واستبان للناس تدليسهم ، و يُجرَحون بالجرح المفسر ، وتقام عليه الأدلة التي هي أظهر من الشمس ، ومع ذلك يريدون أن يطمسوا هذا كله .

وكما قيل : (إن الخرق أوسع من الرقعة) ، فإذا كانت الرقعة صغيرة و الخرق كبير لا يمكن أن ترقعه لماذا ؟ لأن الناس قد رأوا الكذب ، ورأوا الصدق ، و عرفوا الكاذب و عرفوا الصادق واستبانت الأدلة فحينئذ الجرح مقدمٌ .

و قد ضربت أنا بعض الأمثلة وهو موجود في كلامي وكلام غيري من المشايخ – و لله الحمد – مسجل بين مسموع وبين

مطبوع .

و لقد ذكرت في لقاء من اللقاءات الإمام أحمد على جلالته – رضي الله عنه ، و أكرم مثواه ، ورفع درجته في جنات النعيم ، ونظّر وجهه في عليين رحمه الله – وقع له ما وقع فيه بعض الرواة ، محمد بن حُميد : أحسن به الظن الإمام أحمد و أثنى عليه ، فقيل لابن خزيمة : لما لا تروي عنه ؟ لما قال أبو بكر النيسابوري تلميذه ، وقد حسّن من أمره الإمام أحمد ، قال : لو علم الإمام أحمد من أمره ما علمنا ما أثنى عليها أصلا ، ثم بعد ذلك تبين أمره للإمام أحمد – رحمه الله – ورجع عنه كما روى ذلك عبد الله ، و ذكرتُ هذا فنفض يديه في أخر الأمر منه ، أبو زرعة و أبو حاتم كانا يطعنان فيه ، و قد ذكروا ذلك ليحيى بن معين ، و يحيى مع أحمد قد حسّنوا الظن به و أثنوا عليه ، ومع ذلك أبو زرعة و أبو حاتم أعرف به، فذكروا من حاله ، و ذكروا له من الجرح المفسر : أنه كان يحدثهم بأحاديث يستنكرونها ، فينكرونها عليه، فيأخذ القلم ، ويصوبها على ما يقولون ، فقال يحيى : بئست الخلة هذه ، و نفض يده ، فهنا الكلام كلام ابن خزيمة ومن معه ، وكلنا يعلم مَنْ ابن خزيمة بجوار أحمد ؟ ومَن هو أبو زرعة بجوار أحمد ؟ ولكن مع ذلك كانوا أعرف ، و القول قولهم .

وهكذا أبو داود – رحمه الله تعالى – لما سُئل عن عبد الرحمن بن صالح العتكي البصري فقال عنه : " رجل سوء ، ذاك وضع كتاباً في مثالب أصحاب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – " .

و أحمد سُئل عنه ، فقال : " رجل يحب آل بيت النبي – صلى الله عليه و سلم – ما عسى أن أقول فيه" ، ما كان يعرفه، فعرفه الإمام أبو داود – رحمه الله تعالى – وقال: " رجل سوء خبيث و ضع كتابا في مثالب أصحاب النبي – صلى الله عليه و سلم – " ، وأبو داود تلميذ أحمد ، أحمد ما علم هذا ، و أبو داود علمه ، وهو تلميذه ، ثم بعد ذلك تبين الأمر للإمام أحمد ، فسأله سائل وقال : له يا أبا عبد الله ، أرأيت هذه الأحاديث التي تروى ، و فيها بعض مثالب أصحاب النبي – صلى الله عليه و سلم – ما ترى فيها ؟

قال : " أنا أقر هذا ! أنا أقر هذا ! " ذكر هذا الخلال في " السنة "، موجود ، ولم يذكره الحافظ ابن حجر – رحمه الله – لعله ما وقف عليه في ترجمة عبد الرحمن بن صالح في كتاب " تهذيب التهذيب" ، و ذَكَر التوثيق عن أحمد ، ولم يذكر الرجوع عن أحمد – رحمه الله – فلعله – رحمه الله و غفر له – ما وقف عليه في الكتاب .

فالشاهد : ذُكر للإمام أحمد فقال : " أنا أقر هذا ! " يعني يروي مثالب في أصحاب النبي – صلى الله عليه و سلم – هذه الآثار التي تروى قال : " أنا أنكر هذا في أفناء الناس – يعني غبراء الناس ، وعامة الناس – ، فكيف بأصحاب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – " فقالوا له : هذا عبد الرحمن بن صالح ، هذا الذي أشار إليه أبو داود ، فقال : " بلغني ذلك عنه ، فكلّمته فأخذ يدافعني ، ثم لقيته بعد فلم أسلم عليه ، أو قال : سلم عليّ فلم أسلم عليه " ، نسيت الآن ، فرجع القول قول تلميذ أحمد قول أبي داود – رحمه الله– .

و هكذا الأمثلة على هذا كثيرة ، فالشاهد : من أدلى بالحجة –معشر الأحبة – فالقول قوله ، ولو كان المخالف في هذا تلميذاً و الموثق في هذا الشيخ ، فهذه نماذج ذكرتها لكم الموثق أحمد و المعارض أبو داود و أيضاً ابن خزيمة و هكذا ، وهذا قد ذكر بعضه شيخنا الشيخ ربيع وفقه الله ، و ذكره العلماء غيره رحمهم الله تعالى جميعا .

فكيف الآن يُدلى بالأدلة الواضحة في أنَّ فلان كذاب ، أو أن فلان كذاب ، أو أن فلان عنده كذا وفلان عنده كذا ويبقى على هذا !

و تعجبني كلمة أيضا لشيخنا الشيخ ربيع وفقه الله قبل مدة قديمة زرنا شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وغفر له ، علامة هذا الزمان ، وكان الشيخ يتكلم عن بعض الناس فالشيخ شيخنا الشيخ ربيع و فقه الله سأله ، و أنا حاضر و ليس لنا رابع إلا الله ، أنا وهو و الشيخ عبد العزيز ، و قال له " يا شيخ عبد العزيز ، هل جاءك السلفيون وأهل الحديث بالهند ومن هنا وهنا يطلبون منك تزكية ؟ قال : لا . قال له : ليش ؟ هؤلاء الذين يأتون يطلبون منك التزكية و أهل الحديث و أهل السنة السلفيون و أهل الحديث والسلفيون في كل مكان ما يطلبون منك ليش ؟ قال : له ليش ؟

قال : لأن أعمالهم تزكيهم و هؤلاء أبت أعمالهم أن تزكيهم فهرعوا إلى التزكيات ، و الله الذي لا إله غيره قاله وأنا معه في ذلك اليوم .

فالشاهد : هذه التزكيات لا تغني إذا جاء الجرح مفسراً ، وهؤلاء تجدون منهم التناقض كانوا قديماً بعض هؤلاء المعاصرين اليوم في هذه الأيام كانوا قديماً يَجرح العالم من غير دليل و لا تفسير ولا برهان ولا بينة ، و يوثّق الأخر ، فيقال الجرح مقدم ، فيقولون – وهذه تويتراتهم موجودة – يقولون الجرح مقدم على التعديل ولو عارضه ألف عالم ! موجود هذا في التويترات ولو عارضه ألف عالم ، الجرح مقدم على التعديل بدون تفسير ! ! .

ثم انتقلوا إلى المرحلة الثانية : بعض هؤلاء ، لا ، تأتي بالجرح فيقال هات الجرح المفسر تأتي بالجرح المفسر يقولون لا ، الكذب يحتاج إلى تفسير !

و الحمق يحتاج إلى التفسير !

و الشر يحتاج إلى التفسير ! وهكذا .

فالآن لا بد من التفسير جاء الجرح المفسر ذهبوا إلى التزكيات ، ستعلمون حينئذٍ أن القضية ليست ميزانا علمياً ، و إنما القضية قضية هوى ، أهواء ، – عافنا الله و إياكم – ، ولكن الذي لا يعلم معذور ، وهؤلاء أصحاب تلبيس ، وهؤلاء تنطبق عليهم هذه السنوات الخداعات التي يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، – نسأل الله العافية والسلامة – ، فهذا والله هو العجب .

وما كن نظن أنه سيأتي على الناس زمان يقال فيه مثل هذا القول ، فنسأل الله – معشر الأحبة– العصمة من الزلل ، والسلامة من الخطل في القول والعمل ، إنه جواد كريم .

وهذه القواعد إذا أتقنتموها وطبّقتموها ظهر لكم النتيجة الصحيحة ، إذا طُبِّقت التطبيق الصحيح ظهرت النتيجة والأثر الصحيح – بإذن الله تبارك وتعالى – .

ويجب علينا جميعاً : أن يكون الحق هو المقصود لنا جميعاً ، وأن يكون الحق في صدورنا أعظم من الخلق ، ونسأل الله – سبحانه وتعالى– أن يرزقنا ذلك ، إنه جوادٌ كريم .

السائل : أحسن الله إليك ، يقول السائل : نرى بعض من يُقررون القواعد السلفية يخالفونها في أفعالهم وأقوالهم ، فما توجيهكم لهم ، ولطلاب العلم عموماً في مثل هذا ؟

الشيخ : . . [1] القواعد السلفية ، فمن يخالفه بقوله وفعله – معشر الأحبة – لا نستطيع أن نكثر معه الكلام ، ولكن نقول الله : اتق الله – جل وعلا – فإنك ستُسأل في تطبيق الأقوال وتصديقها بالأفعال ، لا والله نستطيع أن نقول له أكثر من هذا .

السائل : أحسن الله إليكم شيخ .

الشيخ : وإياكم .

السائل : هذا أيضاً سؤال آخر – حفظك الله – يقول فيه : ما توجيهكم لبعض طلاب العلم الذين يرجعون في الأمور العظام لطلاب العلم أمثالهم ، ويتخذونهم مرجعاً في نفس هذا الباب ؟

الشيخ : أقول هذا من الخطأ والقصور ، فإن الأمور العظام إنما تعاد ويرجع فيها إلى من هم أهل الحل والعقد فيها ، وهم أهل العلم ، في أمور الشريعة الرجوع إلى أهل العلم ، الذين يعرفون الأمور ويعرفون الأحكام ، ويعرفون القواعد ، ويبنون عليها الأحكام ، وينزلون عليها الأحكام .

أما أن يكون الشاب مع الشاب ويتلقى عنه فهذا هو مصدر البلاء في هذا الباب ، وهو مصدر الانحراف ؛ لأن الشباب لا علم عندهم قد رسخ ، ولا تجربة عندهم أيضاً قد رسخت ، ولا دراية عندهم بالأمور .

فالواجب على الشباب أن يكون مرجعهم إلى أهل العلم ، الذين يقولون بكلام الله وكلام رسوله– صلى الله عليه

---

[1] كلام لم يظهر من التسجيل .

وسلم- ، ويطبّقونه على حسب القواعد المعرفة التي قررها علماء الشريعة ، أصولاً ، في أصول الفقه ، وأصول الحديث ، وأصول الحديث ، وفروعاً ؛ في الفقه ، فإن هؤلاء هم الذين يُرجع إليهم ، هم الذين قال فيهم النبي- صلى الله عليه وسلم- : "يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدوله" [1] .

وهم الذين قال فيهم النبي- صلى الله عليه وسلم- : "العلماء ورثة الأنبياء " [2] .

هم الذين قال الله فيهم : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ [النساء : 83] الآية .

ولو ردوه إلى الله ؛ فالرد إلى الله رد إلى كتابه .

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : 83] .

ثم أخبر الله – جل وعلا- في آخر الآية ، قال : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء : 83] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى : 10] .

فالتنازع حين يحصل الرجوع فيه إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ، هذين الأصلين ، والحاكمون فيه هم أهل العلم ، الذين يعلمون كتاب الله وسنة رسوله ، ويستنبطون الأحكام منهما ، ويطبقون قواعد العلم في الاستنباط ، في أصول الفقه ، وفي أصول الحديث ، وفي أصول التفسير ، يطبّقون هذه القواعد على نصوص القرآن والسنة ، فيستخرجوا منها الأحكام ، هؤلاء هم الذين يرجع إليهم ، أما الشباب فيما بينهم من كان دليله من كان مثله فإن حكمه سيكون خطلاً وخللاً ، فإن نتيجته ستكون خطلاً ، وإن حكم صاحبه سيكون فيه خللاً .

---

[1] صححه العلامة الألباني في "مشكاة المصابيح" برقم (248) .

[2] رواه أبو داود في "سننه" برقم (3641) ، والترمذي في "جامعه" برقم (2682) .

إنَّ الأمور إذا الأحداث دبّرها . . . . . دون الشيوخ ترى في بعضها خللاً

فالواجب علينا جميعاً – معشر الأحبة – أن يكون الإرجاع إلى أهل العلم الذين يعرفون تطبيق هذه القواعد على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ؛ الذين قد عُرفوا بالعلم ، والأمانة ، والديانة ، والصيانة ، والبعد عن الهوى ، واستصحبوا الخبرة ، والتجربة ، فحينئذٍ هؤلاء الذين تأتي أحكامهم – بإذن الله تبارك وتعالى – مُوفَّقة، مُسدَّدة ،و المعصوم من عصمه الله ، ونسأل الله التوفيق للجميع ، نعم .

السائل : أحسن الله إليكم ، هذا أيضا شيخنا سؤال يقول فيه : ما موقف طالب العلم السلفي إذا خالف شيخه في مسألة ما الحق المقرر بالأدلة والقواعد الشرعية ، وهل يلزم من عدم الأخذ بكلام هذا العالم المخالف للحق الطعن فيه أو التنقص منه ؟

الشيخ : هذا كلام غريب ، هذا كلام غريب –معشر الأحبة– ، هذا ليس بجديد ، ليس بجديد ، لم يزل العلماء منذ القدم يتكلمون على هذا ويقررونه .

وأضرب لكم مثالاً واحداً : أرأيتم أتباع هذه المذاهب الأربعة مثلاً ، هذا مقلد لأحمد في الفقه ، وهذا مقلد للشافعي ، وذاك مقلد لمالك ، وذاك لأبي حنيفة ، ثم استبان الدليل على خلاف مذهب إمامه ، وهل يجوز له أن يدع الدليل ويقول مذهبي كذا ؟ أسألكم ؟

السائل : لا يجوز – حفظك الله –

الشيخ : فإذا كان هذا كذلك فهكذا بقية المسائل ، إذا ظهر الدليل مع من خالف شيخك ، وكان الدليل معه صحيحاً ، واستدلاله صحيح وفق القواعد ، وكان دليل شيخك ضعيفاً ، أو لا دليل معه ، أو معه الرأي والقياس ، والدليل ضده ونحو ذلك : فإنه لا يجوز لك أن تبقى مع شيخك ، وتقلد شيخك ،و النص على خلاف ما ذهب إليه .

ولعلكم تعرفون الكلمة المشهورة – فقط – ، أنا أذكر المشهور فقط ، كلمة واحدة ، كلمة الإمام

ابن القيم - رحمه الله - حينما كان يقول في المدارج - مدارج السالكين شرح منازل السائرين - لشيخ الإسلام الهروي ، كان يقول : " شيخ الإسلام حبيب إلينا ، والحق أحب إلينا منه " .

فإذا ظهر - معشر الأحبة - لنا جميعاً الدليل والصواب مع غير شيخنا أو شيوخنا وجب أن نتبع الدليل ، وإذا نحن أخذنا بالدليل ففي الحقيقة نحن ما خالفناه؛ لأنه هو الذي ربّانا على الأخذ بالدليل ، وهو الذي حذّرنا من التقليد ، فما منا إلا رادٌ ومردودٌ عليه إلا النبي - صلى الله عليه وسلم - .

فمالك ، والشافعي ، وأحمد ، وأبو حنيفة كلهم يحتج لهم ، وغيرهم ، ولا يحتج بهم ، إنما الحجة في كلام الله ورسوله ، الحجة المطلقة في كلام الله ورسوله ، وهؤلاء يحتج لهم ، فما وفقوا وأصابوا فيه هم وغيرهم من العلماء أخذ به ، وما أخطأوا فيه فإننا نمتثل قولهم الذي أمرونا فيه بأن لا نقلدهم ، " لا تقلدني ولا تقلد الشافعي ولا مالكاً ، وخذ من حيث أخذوا " .

ويقول أحمد - رحمه الله - أيضاً : " عجبت لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته ، يتركون الحديث ، ويذهبون إلى رأي سفيان " .

ويقول : " رأي سفيان ورأي الأوزاعي كله عنده رأي ، وإنما الحجة في الآثار " .

فإذا استبان لك الحق أيها العبد فالواجب عليك أن تتبع الحق ، وإذا لم تتبعه فقد ضللت في هذا الباب - عياذاً بالله من ذلك - ، وحينما أنت تأخذ بالدليل في الحقيقة أنت المُعظِّم لشيخك ، وأنت المتبع له ، لأن علماء الإسلام المحققين يذمون التقليد ، ويحذرون منه ، ويُربُّون تلاميذهم والمسلمين يربونهم على الأخذ بالدليل ، ويعودونهم على اتباع الدليل ، ويحثونهم على ترك التقليد ، ويذمون التقليد ، فأنت حينما تأخذ بالدليل إذا ظهر لك على خلاف كلام شيخك أنت الذي بررت بشيخك - بإذن الله تبارك وتعالى - .

وانظروا كلام النووي - رحمه الله - في " المجموع " ، كم من مسألة قررها خالفت المشهور من مذهب الشافعي ، صح الدليل فيها ، وقد صح عنده عن الشافعي أنه قال : " إذا صح الحديث فهو مذهبي " .

ويقول : "الحديث صحيح في هذه المسألة وهو مذهب الشافعي لأنه قال إذا صح الحديث فهو مذهبي " .

وهذا كثير – معشر الأحبة – ، فعدم أخذنا بقول العالم ، أو بقول شيخ من شيوخنا إذا تبين لنا رجحانه ليس يعني هذا أننا نطعن فيه – كما يقول بعض الجهلة– في هذه الأيام ، بعض الأغبياء ، يقول : ردك لجرح العالم جرحٌ فيه ! هذا كلام باطل ، ما قاله أحدٌ من أهل العلم ، وإنما اخترعوه ليحافظوا على قواعدهم الباطلة التي خالفوا بها العلوم الصحيحة ، القواعد الصحيحة ، المتقررة في هذا العلم ، نسأل الله التوفيق للجميع ، نعم .

السائل : أحسن الله إليك ، شيخنا – حفظك الله – ، يقول هذا السائل . .

الشيخ : لعلنا نكتفي بهذا يا شيخ عارف .

السائل : طيب، الله يحفظك ، جزاك الله خيراً ، وأحسن الله إليك ، والإخوة جميعا ، يبلغونك السلام ، حفظك الله عز وجل .

الشيخ : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وأبلغهم عنا السلام جميعاً ، وإن كانت مع أننا الآن في نقل السلام إليهم مباشراً ، فنقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأسأل الله – سبحانه وتعالى– بأسمائه الحسنى وصفاته العلى – معشر الإخوة الكرام – أن يعصمنا وإياكم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يثبتنا وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه ، وأن يمن علينا وعليكم جميعاً بالفقه في دينه والبصيرة فيه ، وأن يثبتنا على السنة ، إنه جوادٌ كريم .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .